لمحة عن تأريخ التحول العقدي
عند الشيعة الاثني عشرية
دراسة استقرائية

الباحث/ عبد الرحمن بن عبد العزيز الجفن
باحث ماجستير بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
جامعة القصيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين والصلاةُ والسلام على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه.. أما بعد

تبقى الدراسات المتعلقة بتاريخ التحول العقدي تَشغل حيزاً ملْحوظاً لدى مهمات الباحث في الدَّرس العقدي المعاصر، خاصةً بعد سُهولةِ تداول الكتاب وسرعة الوصول إلى برامج التواصل التي يَسَّرت عمليةَ الاطلاع على ما عند الآخر، وقد أولت المراكز العلميّة العقدية اهتماماً بنشر ما لديها من معتقدات فأصبحتْ مهنة معرفة تأريخ المراجعة العقدية لأفراد الفِرق المخالفة منها لمعتقد أهل السنة والجماعة ظاهرة تستحق الدراسة الفاحصة لأسبَابها وآثارِها ورمُوزها، والتي لا زالَ كثيرٌ من أفرادِ هذه المذاهب في ذُهولٍ من عمق الخلل العقديِّ الذي اطلعوا عليه أخيراً بعد كشفِهم لحقائقَ عقدية في مذهبِهم تخالف ما فطروا عليه من توحيد الله تعالى.

ولعلَّ المعتقد الشيعي الاثني عشري مِن أكثر هذه المذاهب العقدية عُرضةً لهذا الكشف التأريخي المذهبيِّ، وقد أصبحَتْ دراسته مهمةً ليكون المطلع أكثرَ تحققاً وفهماً لحقيقة تلك التحولات وأسبابها ومضامينها.

ثمة سببان مهمان لا يمكن أن نُغفل الحديث عنهما عند الحديث عن تأريخ التحول العقدي لدى الشيعة الاثني عشرية، وذلك لارتباطهما الوثيق في حقيقة الصورة العقدية التي تبدو لنا من أول وهلة عند محاولتنا الربط بين ما نطلع عليه من دعاوى اثني عشرية حول متانة المنهج العقدي الاثني عشري وبين هذه الوفود الكبيرة المتحولة من معتقد الشيعة الاثني عشرية والتي تصرح دون مواربة ولا تأخير بأن ما كانوا عليه من

معتقدات إنما هي شعارات وصيحات لا علاقة لها بما تكنه صدورهم من الفطر التي تنادي بضرورة الانخلاع العاجل من معتقد قائم على أصول هشة مرتبكة عاجزةٍ، مخالفةٍ في حقيقتها لدعوة الرسل عليهم السلام.

مع كون ذلك المعتقد لا يزال يعيش حتى اليوم في أطوار ومراجعات ونقد داخلي متتابع من لدن رموزه لقضايا أصلية فيه، وليس في مسائل يمكن أن تُتَجاوز لاعتبارات خلافية، مما يعني عدم وثوق أئمتهم بقضاياهم الأصلية فضلاً عن عامتهم، وهذا يمكن أن يسبب قريباً إمكان وقوع تحول كبير لدى الإمامية قد تفصح عنه كتابات عقدية نقدية قريبة من قبلهم.

يقول أحمد الكاتب: "وعلى أي حال فقد كان البحث في موضوع وجود الإمام المهدي حساس جداً ويحمل خطورة اجتماعية وسياسية وفكرية، ويمكن أن يقلب كثيراً من الأمور رأساً على عقب، ويشكل منعطفاً استراتيجياً في حياتي وحياة المجتمع الذي أنتمي إليه" [1] .

أسباب التحول العقدي الاثني عشري:

السبب الأول: النقد الذاتي.

المطلع على بدايات التأريخ الاثني عشري إلى يومنا هذا لا يمكن أن يَغفل نظرُه عن القدر الكبير من القضايا العقدية الاثني عشرية الكبرى الدائرة في حيز النقد والمراجعة ومحاولة تكذيب حقائقها أو صدورها عن أئمتهم من قِبل آيات ومجتهدي المعتقد الاثني عشري، في طريقة تُوقع الريبة والشك من قبل أفرادهم، وقد تسلل إلى نفوسهم أن تلك الانتقادات الكبرى دليل واضح على وثوق المقالات المخالفة من قبل الفرق الأخرى الداعية لضرورة الحراك العقدي المحرر لأفراد الشيعة الاثني عشرية للنظر في هذه الاضطرابات العقدية.

ومن جهة أخرى أحقية الانقسامات التي عثت في المعتقد الاثني عشري والتي هي سبيل لاضمحلال وزوال كل منهج قائم على غير أصول سليمة ثابتة واضحة.

ولنظرة سريعة للانتقادات الموجهة للمعتقد الاثني عشري نرى أن القضايا التي أعيد النظر فيها من قبل بعض عظمائهم هي في أصول كبار في المعتقد الاثني عشري،

[1] انظر: تطور الفكر السياسي الشيعي لأحمد الكاتب (ص٧).

كمسألة الولاية والإمامة التكوينية [١]، وعصمة الأئمة، [٢]وتحريف القرآن [٣]، وولاية الفقيه [٤] ، والبداء [٥] ، والمهدي المنتظر [٦] ، والرجعة [٧] ، والتقية [٨] ، والمتعة [٩] ، والخمس [١٠] ، وبدع عاشوراء [١١] ، وغير ذلك من كبرى القضايا العقدية التي لا يزال الصف المعظم من داخل المعتقد الشيعي في مراجعةٍ دائمة مكررة للنظر في إمكان قبول أو رد هذه القضايا، وإن بدى في بعض مقالاتهم خلاف ذلك.

السبب الثاني: إخفاء الحقائق.

إخفاء الحقائق أصل في المعتقد الشيعي الاثني عشري، وقد درجوا عليه ليتمكنوا من خلاله تغيير أصول عقائدهم ومقالاتهم بحسب الحاجة إلى ذلك من جهة، ولإخفاء الخلل العقدي لديهم من جهة أخرى، وذلك أن السرية والكتمان تعد "ملمحاً بارزاً في المذهب الشيعي، ونصوص المذهب شاهدة على ذلك، ولا شك أنه حينما تَشيع السريةُ في مذهب ما، وتتغلغل الأفكار الباطنية بين أتباعه فإن من شأن ذلك كله أن يهيئ التربة الخصبة لانتشار الأفكار المنحرفة" [١٢] .

يقول محمد حسين آل كاشف الغطاء: " والحاصل : إن حكمة التدريج اقتضت بيان جملة من الأحكام وكتمان جملة ، ولكنه سلام الله عليه أودعها عند أوصيائه ، كل وصي يعهد بها إلى الآخر لينشرها في الوقت المناسب لها حسب الحكمة ، من عام مخصص ، أو مطلق مقيد ، أو مجمل مبين ، إلى أمثال ذلك" [١٣] .

وهذه الطريقة – إخفاء حقائق معتقدهم – وضعوا لها معتقداً مقننا لديهم أسموه "التقية" وهو ما يمكن أن يوصف بأنه كتمان وإخفاءٌ للهوية الحقيقية للمعتقد الإمامي الاثني عشري، بحيث لا يمكن إطلاع عامتهم إلى ما ترمي إليه كثيرٌ من أصولهم، والتقية الكتمانية هي إحدى أقسام التقية الأربعة التي قالت بها مراجعهم[١٤].

---

(١) انظر: طريق الاتحاد لحيدر قلمداران (ص٥٥). الصرخة الكبرى للموسوي (ص٤٣) .كسر الصنم للبرقعي (ص٣٩٩).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص١٤١).

(٣) انظر: تاريخ القرآن عند الاثني عشرية للدكتور عبدالعزيز الضامر (ص٢٦٥) .

(٤) انظر: ولاية الفقيه عند الشيعة عرض ونقد، للدكتور ياسر الأحمدي (٣٩٧/٥) .

(٥) انظر: شرح أصول الكافي للمازنداني (٢٣٦/٤) .

(٦) انظر: الغيبة للنعماني (٢٠/١٤) . التشيع والشيعة للكسروي (ص٦٨) .

(٧) انظر: عقائد الإمامية للمظفر (ص٨٤).

(٨) انظر: الشيعة في الميزان لمحمد جواد مغنية (ص٥٢).

(٩) انظر: سياحة في عالم التشيع للكاظمي (٧٩).

(١٠) انظر: بحث عميق في مسألة الخمس لحيدر علي قلمداران (ص٤٢).

(١١) انظر: تجارب محمد جواد مغنية بقلمه (ص٢٧٧).

(١٢) الاتجاهات الحشوية في الفكر الإسلامي للدكتور أحمد قوشتي (ص٧٥).

(١٣) أصل الشيعة وأصولها لمحمد حسين آل كاشف الغطاء (ص٢٣٣).

(١٤) قسَّم مرجعهم محمد صادق الروحاني التقية إلى أربعة أقسام، فقال: " وعليه فتنقسم التقية إلى أقسام أربعة : التقية الخوفية ، والتقية الإكراهية ، والتقية الكتمانية ، والتقية المداراتية ". وأشار الخميني إلى هذه الأقسام في كتابه المكاسب المحرمة.
فقه الصادق للروحاني (٣٩٢/١١)، المكاسب المحرمة للخميني (١٥٧/٢).

مما يبين هذا أن شيخهم محمد حسين آل كاشف الغطاء أمر بإخفاء كتاب الطَّبَرسي[١] "فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب"، وأفتى بعدم جواز نشره لما يعود به نشره من الوهن على عقيدة الإمامية وهي الحالة التي طالما فر منها معمموهم [٢].

لذا تفاجأ كثيرٌ من رموز الإمامية وعامتهم في القرون المتأخرة بفساد كثير من عقائدهم حينما اضطر كبراؤهم للبوح بحقائقها ووجودها، وهذا ما جعل شيخهم يوسف البحراني [٣] يقول: "إن الكثير من أخبار الشيعة وردت على جهة التقية التي هي على خلاف الحكم الشرعي واقعاً" [٤].

ومن ذلك – على سبيل المثال – ما اتفق عليه علماء الشيعة – كما صرح موسى الموسوي [٥] – بأن مقولة "أشهد أن علياً ولي الله" بدعة لم تكن معروفة في عهد الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والصحابة وحتى في عهد علي رضي الله عنه وأئمة الشيعة، وكلهم يجمعون على أن من قالها في آذان الصلوات بقصد " الورود " أي أنه وارد في الشريعة عمل عملاً محرماً وأتى ببدعة، مع كل هذا لا يوجد زعيم شيعي واحد يستطيع أن يشير إلى هذا الأمر قولاً أو كتابة وأن يعلن رأيه حتى في كثير من البدع التي ألصقت بالمذهب الشيعي خوفاً ورهبةً وتقية من الجماهير الشيعية التي درّبتها الزعامات تلك على العمل بتلك البدع[٦].

فهنا الموسوي يصرح بأن إحدى هذه المسائل المتفق على خطئها في المعتقد الشيعي الاثني عشري لا يمكن لزعيم شيعي واحد أن يصرح بما يعتقد تجاهها، مع كونها قضية فقهية يسيرة بالنسبة لغيرها، والمقصود أن النقد جارٍ من كبرائهم، وكثيرٌ منهم لا يستطيع البوح بالخطأ.

---

(١) هو ميرزا حسين بن محمد تقي الدين النوري، الطبرسي، ولد في طبرستان سنة (١٢٥٤–١٣٢٠هـ) ولد في طبرستان، له: واقع النجوم ومرسلة الدر المنظوم في سلسلة إجازات العلماء، مات في النجف.

انظر معجم المؤلفين لرضا كحالة (٤٦/٤).

(٢) انظر: كلام آل كاشف الغطاء في ملحق كتاب الطبرسي "فصل الخطاب " (ص٩١١).

(٣) يوسف بن أحمد بن إبراهيم آل عُصفور الدرّازيّ البحرانيّ، (١١٠٧–١١٨٦هـ) فقيه إمامي ولد في البحرين، من مؤلفاته الحدائق الناضرة في فقه العترة الطاهرة، لؤلؤة البحرين، معراج النبيه في شرح من لا يحضره الفقيه، مات في كربلاء.

انظر: مجلة تراثنا لمؤسسة آل البيت (١٤٤/٢٩)، الأعلام للزركلي (٢١٥/٨).

(٤) انظر: الحدائق الناضرة ليوسف البحراني (٨٩/١).

(٥) موسى بن الحسن بن أبي الحسن الأصفهاني الموسوي، (١٣٥٠–١٤١٧هـ)، ولد في النجف في بيت شيعي، له الشيعة والتصحيح، الثورة البائسة، يا شيعة العالم استيقظوا، وغيرها.

انظر الشيعة والتصحيح (ص١٥٨، ١٣٣)، ترجم الموسوي لنفسه في خاتمة كتابه الثورة البائسة.

(٦) انظر: الشيعة والتصحيح لموسى الموسوي (ص ٥٧) بتصرف. وانظر الفرقان للواسطي (٢٦٣/١).

ومن هنا يمكننا القول أن المعتقد الشيعي لم تنفك عنه الاهتزازات الداخلية المنهجية منذ عقود لهذه الأساليب عندهم، مما هيأ لأوساطهم مع طول الفترات الاستعداد التام للتحول عن المعتقد.

ومن أغرب ما يذكر عن الشيعة الإمامية مما يدخل في هذه القضية أن المقررات والمصنفات العلمية الكبرى التي تحكي أصول عقائدهم كانت خفية عن أعين المختصين بالفرق من أهل العلم، لذا لم تُذكر في المراجع الإسلامية المتفق عليها التي حكت مناهج وعقائد الفرق المنتسبة للإسلام، مع تتبع هؤلاء العلماء ومعرفتهم الدقيقة بتلك الفرق.

وقد نص الإمامية على أن مؤلفي تلك المصادر عاشوا في مراحل متقدمة لنشوء المعتقد الإمامي، حتى إن العلماء الذين لهم عناية بأمر الروافض كأبي الحسن الأشعري وابن حزم وابن تيمية، لم يرد عنهم ذكرٌ لأسماء هذه المدونات، وبالأخص أخطر كتاب لهم وهو أصول الكافي، رغم أن صاحبه قد توفي سنة (٣٢٩هـ)[١].

بل ذكر بعض الباحثين أن كتب الشيعة المعتمدة لا يوجد لها اليوم أي نسخة مخطوطة في المكتبات الشيعية الكبرى، وأن أول نسخ ظهرت كان في القرن الحادي عشر [٢].

ويمكن أن يقال أيضاً ما ذكرته بعض البحوث بأن هذا الخفاء داخل الصف الاثني عشري كان سبباً مَنعَ المطلعين من معرفة البدء التأريخي لهذا التحول الملحوظ من قبل عامة الإمامية وخاصتهم [٣].

ومع كون المعتقد الإمامي مر بمراحل متفاوتة من القوة، بمعنى أنه لم يكن من أسباب خفاء حقائق هذه المصنفات في وقت من الأوقات الضغط السياسي أو الاجتماعي، إلا أن الذي يظهر أن السبب في إخفائها علم الإمامية مخالفتها للمعقول والمنقول الصحيح وتناقضها داخل المذهب، مع عدم تضمنها مصدرية التلقي الإسلامي الصحيح، ومخالفتها لأصوله، وما تحمله من الحقائق المكذوبة أو الدعاوى المتناقضة بحيث يمكن عدم تصديق مضامينها أو ثبوتها، مما يسهل ردها وتوضيح زيفها أو مغالطتها.

---

[١] انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية للدكتور ناصر القفاري (٣٦٦/١).

[٢] أنظر: التشيع نشأته ومراحل تكوينه للدكتور أحمد سعد الغامدي (ص٢٨١).

[٣] أعلام التصحيح والاعتدال للدكتور خالد البديوي (ص٦).

لذا يقول أحمد الكاتب [١]: كان من الأجدر بعد إعادة النظر في أساس الفكر الإمامي والتخلي عن شروط العصمة والنص والسلالة العلوية الحسينية في الإمام أن يعاد النظر في الفرضية المهدوية التي تفرعت عن نظرية الإمامة الإلهية وحتمية وجود الإمام المعصوم المعين من قبل الله،.. وإعادة النظر في الأدلة الفلسفية والنقلية والتاريخية التي تحدثت عن ذلك، من أجل إعادة تصحيح الفكر السياسي الشيعي[٢].

وبعد، فلا شك أن هاتين القضيتين (النقد الذاتي) و (إخفاء الحقائق) تدليان بدلوهما لفئاتٍ داخل الطائفة الإمامية بضرورة إعادة النظر في حقيقة تلك المقالات أو المعتقدات التي خالفت ما عُرف من حقيقة دعوة الأنبياء وهو تعبيد الخلق لله وحده لا شريك له، ونبذ ما سواه من المعبودات التي غرقت الإمامية في وحل تمريرها على عامتهم، وقد أدى الغلو في هذه القضايا إلى رجوع بعض علمائهم.

يقول جعفر السبحاني [٣]: " عندما نطالع كتابي الوسائل والمستدرك مثلاً، نرى أنَّه ما من باب من أبوابِ الفقه إلاّ وفيه اختلاف في رواياته، وهذا ممَّا أدَّى إلى رجوع بعض ممَّن استبصروا عن مذهبِ الإماميَّة [٤].

مراحل التحول الشيعي الاثني عشري:

يمكننا القول بأن تأريخ التحول العقدي الإمامي مع هذه التهيئة العامة التي مر الحديث عنها مر بمرحلتين:

المرحلة الأولى:

مرحلة التحول المبدئي، وهذا يمكن أن تكون بدايته في مراحل متقدمة من نشوء المذهب الإمامي، بمعنى أن التحول من معتقد الشيعة الإمامية لم يكن وليد القرون المتأخرة، سواء كان التحول جزئياً أو كلياً، ولعل مرحلة ظهور دعوى الإمامة الكاذبة، وبالتحديد حين مات إمامهم العسكري ولم يعقب والتي يمكن أن توصف بمرحلة "التيه" – كما يصفها أبو الحسن الأشعري [٥] = بدايةٌ للتحيِّر والشك والاضطراب الإمامي بسبب هذه الغيبة التي طال أمدها [٦].

---

[١] أحمد الكاتب اسمه الحقيقي: عبدا لرسول بن عبدا لزهرة بن عبدا لأمير لاري، ولد سنة (١٣٧٣ه) في كربلاء ، من مؤلفاته: مخالفات لعقيدة الإمامية، ونقض روايات تاريخية تقوم عليها عقيدة الإمامية وغيرها، من مؤلفاته الحرية في الإسلام، آلية الوحدة، وغيرهما.

انظر مقدمة كسر الصنم (ص١٥)، ظاهرة التصحيح في مذهب الإمامية الاثني عشرية د. خالد القرني (ص٤٩).

لقاء مع أحمد الكاتب في قناة الجزيرة في برنامج (بلا حدود) بتاريخ ١٩٩٩/٩/٤م

https: //youtu.be/UuizdCmauMY موجود حتى تاريخ ١٤٤٤/٥/٣٠ه.

[٢] انظر: تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه لأحمد الكاتب (ص٤٤٢-٤٤٣).

[٣] جعفر محمد حسين السبحاني (ولد ١٣٤٧ه) رافضي، ولد في تبريز، من مؤلفاته : مفاهيم القرآن، بحوث في الملل والنحل.

انظر ويكي شيعة على الرابط التالي وهو موجود حتى ١٤٤٥/٣/١٣ه:

جعفر السبحاني التبريزي – ويكي شيعة(wikishia.net)

[٤] الرسائل الأربع لجعفر السبحاني (ص٢٠١).

[٥] انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١٣٧/١) .

[٦] انظر: مقدمة الدكتور ناصر القفاري لكتاب "البرقعي وجهوده في الرد على الرافضة" د. التويجري (ص١٠).

وقد روجع خلال هذه المرحلة أصول المذهب، بحيث يعلم أن الارتباك العقدي لديهم كان واضحاً لأطرافهم منذ القدم، تكتموا على حقائقها ومصادرها لفترات طويلة بحكم السرية والتقية وأمور أخرى، أو أوّلوها على غير ظاهرها فلبسوا على المتلقي خلاف ما فهم مع قناعتهم أنها طرق يمكن أن ينحل بسببها عقد المعتقد الإمامي، وقد تهيئت الحالة العقدية الإمامية إلى إمكان العثور على مشكلات من قبل عامتهم وكبرائهم تشعرهم بوجوب الانفكاك عن المعتقد، ولعل أثر هذه الحالة تمثلت بعد عدة قرون في اختلافهم إلى فرقتين كبيرتين عرفتا فيما بعد بالأصولية [١] والأخبارية [٢].

كانت بذرة الاختلاف الكبير بين هاتين الفرقتين بدأ قبل عام (١٠٣٣ه) [٣]، "وقد أخذ الصراع بين المدرستين أشكالاً وأطواراً شتى جمع بين الردود العلمية وتأليف الكتب وتبادل التهم كما أنه لم يقتصر على نطاق المحافل العلمية بل تسرب إلى الأوساط العامة فسفكت دماء وأوذي أناس كثيرون " [٤].

وهذا في حقيقته عبارة عن تحول عقدي أولي داخل المذهب اطلع عليه خاصتهم، فكانت مرحلةً أولى مهدت لقضية التحول العقدي الذي أصبح أمراً ظاهراً فيما بعد.

المرحلة الثانية:

وهي المرحلة التي ظهر فيها الخط التجديدي الإصلاحي في القرن المنصرم، والذي يمكن أن يحدَّد زمنه مع بداية نشاط الإصلاحي الناقد: آية الله شريعة سنكلجي المتوفى (١٣٦٢ه) [٥] وهو صاحب الريادة فيه والذي كان مشروعه بداية للإعلانات المتتابعة للمتحولين من رجالات الشيعة الاثني عشري [٦].

ولنلقي نظرة عاجلة لتاريخ التحول الشيعي الاثني عشري المعاصر في أشهر بلدين نشأ فيهما التشيع الإمامي وهما العراق وإيران، لتتبين له الحالة العقدية الاثني عشر المتأخرة.

---

[١] الأصولية : منهج عقدي إمامي سمي بذلك نسبة لأصول الفقه، حيث عرف أصحابه باهتمامهم الشديد بعلم أصول الفقه تدريساً وتأليفاً واعتماداً.
انظر: الصراع بين الأخباريين والأصوليين للدكتور أحمد قوشتي (ص١٨).

[٢] الأخبارية: منهج عقدي إمامي سمي بذلك نسبة للأخبار، أي المرويات المنقولة عن أئمة آل البيت، والتي تمثل المصدر الأساسي للتلقي عندهم ومناط المفاصلة بين الشيعة أنفسهم.
انظر الصراع بين الأخباريين والأصوليين للدكتور أحمد قوشتي (ص١٣).

[٣] انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية للدكتور ناصر القفاري (١١٨/١).

[٤] الصراع بين الأخباريين والأصوليين للدكتور أحمد قوشتي (ص٣٥).

[٥] هو شريعة بن محمد بن حسن سنكلجي (١٣١٠-١٣٦٢ه)، ولد في طهران، إمامي الأصل، له منهج إصلاحي في باب العبادة لله من خلال مصادر أهل السنة، صدع بذلك وواجه المخالفة الشديد من أجل ذلك، له: مفتاح فهم القرآن، توحيد العبادة وغيرهما.
انظر: مقدمة تحقيق الدكتور خالد البديوي لكتاب توحيد العبادة لسنكالجي (ص٩) وما بعدها.

[٦] انظر: مقدمة تحقيق كتاب البرقعي سوانح الأيام للدكتور خالد البديوي ومجموعة (ص٩).

تأريخ تحولات الاثني عشرية في العراق:

في العراق ظهرت في ستينياته الميلادية الموافق ١٣٨٠ه حركة دعوية نشطت من قبل دعاة أهل السنة حمل هذه الدعوة مجموعة من الشباب المثقف في مجموعات تدعو إلى فكرة الإيمان المقابلة لفكرة الإلحاد الذي بثته الشيوعية في العراق والذي لامس المعتقد الإمامي مما جعل لهذه المجموعة أثراً في الطبقة الشيعية العراقية، وقد انتشر في هذه الفترة بعض مؤلفات أهل السنة كالعقيدة الطحاوية ومؤلفات ابن تيمية والشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكان المستهدف فيها من الطبقات الإمامية هم فئة طلبة الجامعات، وكان تأثرهم ملحوظاً بحيث تغيرت بعض مواقفهم وقلت شدتهم الطائفية [١].

وفي مرحلة السبعينيات الميلادية الموافق ١٣٩٠ه إبان حكم حزب البعث ظهرت بعض الأنشطة السنية تعمل بشكل جماعي كجماعة الموحدين، استهدف فيها الطبقات الشيعية المثقفة وكان تأثرهم بهذه الدعوة أوسع من ذي قبل.

وفي مرحلة الثمانينيات الميلادي الموافقة لعام ١٤٠٠ ه ظهرت قوة دعوة الاثني عشرية إلى معتقد أهل السنة، وخاصة في بغداد والبصرة وديالى.

كان جو الحرب العراقية الإيرانية التي بدأت هذه الفترة له أثره الواضح بعد قيام بعض الأحزاب الشيعية بأعمال التخريب في العراق، مع خوض الأحزاب الشيعية معركةً طاحنة مع الحكومة العراقية آنذاك، فقد ساعدت هذه الأعمال على فتح المجال للدعوة السنية، فكان التحول بصورة كبيرة، بحيث تتحول عوائل ومجتمعات بأكملها، وكان من المتحولين شخصيات عشائرية وشخصيات رفيعة، حتى إن في بعض المناطق الشيعية بنيت المساجد وكان روادها جلهم من الشيعة المتحولين [٢].

أما مرحلة التسعينيات الميلادية الموافقة لعام ١٤١١ه بعد الحصار الاقتصادي على العراق تحركت الشيعة للدعوة لمعتقدها، فازداد العمل السني في أنحاء العراق وكبر، فكان تحول الإمامية للمعتقد السني هائلاً وبنسب كبيرة جداً بحيث تحولت مناطق كبيرة وخاصة الجنوب العراقي التي يتمركز فيها المعتقد الإمامي، حتى أصبح التحول ظاهرة أفزعت معمميهم، وفيها بدت بصورة أكثر وضوحاً لعامة الإمامية حقيقة القضايا العقدية

---

[١] انظر: مقال "من تأريخ التسنن في العراق" (١-٢) لعبدالعزيز المحمود دون ترقيم صفحاته :
رابط ٦٣٩٥=http: //www.alrased.net/main/?w موجود حتى تاريخ ١٤٤٤/٥/٣٠ه.
ومقالة: تأريخ تحول أهل السنة إلى معتقد أهل السنة للدكتور عبدالله الربيعي في منتدى الألوكة على الرابط :
تاريخ تحول الشيعة إلى معتقد أهل السنة.للدكتور عبدالله الربيعي.(alukah.net) موجود حتى تاريخ ١٤٤٤/٥/٣٠ه

[٢] انظر: المصدر السابق.

الإمامية المضطربة المتناقضة، وقد انتقل فيها السجال السني الإمامي إلى مرحلة ظهور المناظرات بينهما.

في ظل هذه الظروف برزت نخب سنية قادت لعمل دعوي نشط لشيعة العراق بصورة ملفتة في المدارس والجامعات والتجمعات العامة، وأصبح المهتدي من طلاب الجامعات يعود إلى أهله الشيعة حاملاً راية الهداية سواء كان في جنوب العراق أو وسطه وحتى في شماله، بل حتى محافظات النجف وكربلاء تأثرت بذلك وتحولت عوائل شيعية بأكملها إلى معتقد أهل السنة.

بعد دخول جيش العراق للكويت ١٤١٠ه الموافق ١٩٩٠م تحول الوضع الأمني في العراق، فضعفت الحالة السياسية العراقية بعد الحصار، وبدأ تحرك الشيعة بنشر دعوتهم وطباعة كتبهم، وفي المقابل نشأت حملة دعوية سنية باسم "الحملة الإيمانية" عام ١٩٩٣م الموافق ١٤١٣ه اهتمت بالبرامج الدينية السنية، وأتاحت فرصة كبيرة لأهل السنة للانتشار في الداخل العراقي، فنشأت المجالس بين السنة والشيعة وبدأت المناظرات العامة، فازداد التحول الشيعي إلى السنة، فكان لا يمر أسبوع أو أقل إلا ويصدمون بهداية العشرات من شباب الشيعة، حتى إن الشيخ محمد بن عودة الواسطي رحمه الله (ت١٤٢٤ه)، لما كان يناظر كبراءهم في هذه المرحلة منع من ذلك للتأثر الكبير في عامة الشيعة وخاصتهم وقد سجن ثم أفرج عنه بعد أخذ التعهد عليه بعدم الرجوع لتلك الاجتماعات، لذا أصبح التحول من بين عام ١٤١١ه وبين ١٤١٦ه ظاهرةً أرعبت الحوزات وأقضت مضاجعهم [١].

ثم في مرحلة عام ٢٠٠٣م الموافق لعام ١٤٢٣ه بعد سقوط حزب البعث الحاكم قويت الأحزاب الشيعية فبدأت باستهداف الرموز الإمامية المتحولة وتصفيتهم أو تشريدهم من مناطقهم وبدأت حرباً طائفية، فضعفت الدعوة والتحول نوعاً ما، إلا أن بعض القنوات الفضائية وبرامج التواصل الاجتماعي والمتحولين خارج العراق كان لهم دور كبير في إبقاء سلسلة التحولات التي انتقلت في بعض الأحيان من الظهور إلى السرية [٢].

ومن جهة أخرى – ولهذه الطائفية – اهتزت صورة الأحزاب الشيعية وصورة إيران على وجه الخصوص لدى الشارع العام، مما أدى إلى تأثر ملحوظ في بعض

---

[١] انظر: مقدمة المهتدي من التشيع عبدالملك الشافعي لكتاب "الفرقان بين موقف أهل السنة والرافضة من القرآن" للواسطي (ص٨).

[٢] انظر: الباحث صافي محمد سعيد: هذا تاريخ السلفيين في العراق – وكالة أنباء آسيا(asianewslb.com) .موجود حتى تأريخ ١٤٤٤/٣/٢٦ه

التيارات الشيعية الإمامية في العراق بأفكار سنية، وظهر نوع من الفراغ لدى جيل الشباب المنفتح على الخارج، ومورست بعض من الأفكار الإلحادية لهذا الانفتاح، وهذا بحد ذاته داعم أكبر لازدياد التحول الشيعي الإمامي في العراق بعد الاطلاع على حقيقة المعتقد السني [١].

التأريخ المعاصر للتحولات الاثني عشرية في إيران:

وأما في إيران فكان الإصلاحي الناقد الشيخ محمد حسن شريعة سنكالجي هو صاحب الريادة في هذا الخط الإصلاحي التجديدي كما ذكرنا ومن بعده تلميذه الشيخ عبدالوهاب تنكابني وغيرهما [٢]، وقد أطلق بعض المعاصرين على هذا التيار اسم "القرآنيون الشيعة" لأن أصحاب هذا التيار أحسوا بتغييب النص القرآني في الثقافة الشيعية لصالح الروايات والأخبار [٣]، وكان بينهم وبين واقعهم مجابهة كبيرة حتى قتل بعضهم وسجن آخرون.

وقد ساعد على هذه المرحلة في إيران بدايات لحركات التغريب التي أخذ بالدعوة لها ناصر الدين شاه[٤]، ولقيت صدى واسعاً في أوساط جيل الشيعة الشبابي الجديد الناقم على التيارات الدينية التي تبين لهم أنها كانت من أسباب المعضلة الاثني عشرية [٥].

وهي حالة شبيهة بالحالة النصرانية حينما ثارت الشعوب النصرانية على الكنيسة في الثورة الفرنسية المشهورة، وذلك للخلل الديني النصراني القائم في ذلك الوقت، مع تأثرٍ بالحالة الإلحادية المتزايدة في وقتها، التي نقلتها من الحالة الدينية النصرانية المسيطرة إلى الفراغ الإيماني.

ثم أعلن الخميني عن "ولاية الفقيه" وهي المرحلة التي نُصِّب فيها أول حاكم ينوب عن الإمام المنتظر، ويمكننا أن نصف هذه المرحلة بأنها المرحلة التي كسرت الصنم حقيقة ولكن بطريقة غير مباشرة.

وهي المرحلة التي أسماها بعض الباحثين بـ "عصر الانقلاب على التشيع" [٦]، خاصة أن معتقد وجوب موافقة الإمامة وعدم مخالفته قضية هي من كبريات المعتقد

---

(١) انظر: مقالة: تاريخ تحول الشيعة إلى معتقد أهل السنة للدكتور عبدالله الربيعي في موقع الألوكة: https: //majles.alukah.net/t٢٠٠٣٤٠/.حتى تاريخ ١٤٤٤/٥/٢٦هـ.

(٢) عبدالوهاب فريد تنكابني الإيراني ولد في أوائل القرن الماضي، من مؤلفاته الإسلام والرجعة.

انظر: مقدمة كتابه الإسلام والرجعة لأحمد جلال (ص٥)، ومقدمة سوانح الأيام للبرقعي تحقيق د. خالد البديوي ومجموعة (ص ٩،١٠).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) ناصر الدين شاه، الملك الرابع في فارس من أسرة القاجار (١٢٤٧-١٣١٣هـ) ولد في قرية قرب تبريز، وفي حكمه زاد النفوذ البريطاني في بلده فأدى إلى اضطرابات شعبية فتم اغتياله. انظر موجز دائرة المعارف الإسلامية (٩٨٦٠/٣١).

(٥) انظر: أعلام التصحيح والاعتدال للدكتور خالد البديوي (ص٦٣١).

(٦) التشيع نشأته ومراحل تكوينه للدكتور أحمد بن سعد الغامدي (ص٢٩٥).

الإمامي، وذلك " أن القول بولاية الفقيه يؤدي ولو بصورة غير مباشرة إلى المس بعقائد أساسية في المذهب الاثني عشري وإضعاف وقعها في نفوس أبناء المذهب"[١]، لأن في نظرهم " كل راية تُرفع قبل راية القائم فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله "[٢]، فضلاً عن "أن في إقرار القول بولاية الفقيه إدانة لجميع المجامع العلمية منذ غياب الإمام المعصوم وإلى زمن الخميني" [٣] .

فلذلك الشيعة اليوم يعانون من هذه المشكلة وفق ما يسطره منظرو المذهب من أصول وضوابط، وهل تصح للمجتهدين أو أن هذه النيابة لا تصح إلا من معصوم.

وذلك أن النقد الشيعي لما كان داخلياً لا تدعمه حالة سياسية والتحول فيه كان أشبه ما يكون بالفردي، انتقلت المسألة بعد إعلان ولاية الفقيه ليصبح النقد مرحلة سياسية مغايرة لهيئة التعامل مع مشكلات المذهب، فأصبح النقد العلني ممكناً، وبرزت شخصيات إمامية مهمة من ضمنها آيات ومجتهدي المذهب الإمامي عارضت الخميني في قوله بولاية الفقيه [٤].

وبطبيعة الحال وبعد تولي الفقيه الولاية الحاكمة، وبعد أن صار للإمامية دولة تحميها وتدافع عنها خَفَتْ في إيران صوت السنة، وضعفت الدعوة فيها، وظهر القمع غير المبرر للمخالف لهم، كما ساق البرقعي شيئاً من ذلك في بعض مؤلفاته [٥] .

وقد وافق ذلك إعلان الحرب التي نشبت بين الولي الفقيه وحزب البعث العراقي، وفي المقابل قل ضغط حزب البعث العراقي على التيار السني بسبب ظهور حركة شيعية مسلحة في العراق تابعة لإيران، مع خوض الأحزاب الشيعية العراقية معركة طاحنة مع الحكومة العراقية وصلت لإعدام بعض المفكرين الشيعة.

والحقيقة وإن بدى للمتابع الانتقالُ السياسي الشيعي لمرحلة الظهور إلا أن الواقع يحكي تآكلاً داخلياً ملحوظاً لا يمكن طيه، وقد تسببت عقيدة ولاية الفقيه إلى انقسام داخلي بين المراجع، بلغت إلى تناحر كبير بين أهم فرقهم، لفتت نظر المهتمين بالشأن الإمامي [٦].

---

(١) الصراع بين الأخباريين والأصوليين للدكتور أحمد قوشتي (ص١٢٤).

(٢) الكافي للكليني (٢٩٥/٨) بحار الأنوار للمجلسي (١٤٣/٥٢) .

(٣) انظر: ولاية الفقيه عند الشيعة عرض ونقد، للدكتور ياسر الأحمدي. (٣٩٧/٥) .

(٤) منهم محمد كاظم الشريعتمداري، وحسن الطبطبائي القمي، ومرتضى الأنصاري، ومحمد حسين النائيني النجفي، وعلي الحسيني السيستاني، ومحمد إسحاق فياض، وبشير النجفي، ومحمد سعيد الطباطبائي الحكيم، ومحمد جواد مغنية، فضلاً عن طائفة الأخباريين المخالفين أصلاً لمبدأ الاجتهاد كما يصوره الأصوليون.

انظر: ولاية الفقيه عند الشيعة عرض ونقد، للدكتور ياسر الأحمدي. (٣٩٤/٥) .الصراع بين الأخباريين والأصوليين للدكتور أحمد قوشتي (ص١٢١).

(٥) انظر: تعارض مفاتيح الجنان مع القرآن للبرقعي (ص١١).

(٦) انظر: بحث بعنوان : جهود علماء العراق في الرد على الشيعة للكاتب عبدالعزيز بن صالح المحمود (ص٤٣)، على شبكة الانترنت : https://dawa.center/file/٥٥٤٥ موجود حتى تاريخ ١٤٤٥/٢/٢٨هـ

أما منطقة الأحواز الإيرانية، فقد شهدت منذ بداية التسعينات الميلادية في القرن المنصرم عودة جموع كبيرة من عشائر الشعب الأحوازي، وقد سميت هذه العودة بـــــ (العودة الأصل)، حتى وصل عدد المتحولين منهم إلى عقيدة أهل السنة إلى قريب من ٢٥% من مجموع الشعب الأحوازي، بل ذكر بعض المتحولين أن التحول فيها بأرقام كبيرة جداً [١] .

وقد صرحت بعض الشخصيات العلمية الإمامية تذمرها من هذا التحول الكبير، وقدرت التحولات الشيعية إلى معتقد أهل السنة بين عامي ١٩٧٠م حتى عام ٢٠٠٠م ما يقرب من (٣٠٠ – ٥٠٠) ألف، ونصيب محافظة سيستان لوحدها ١٢٠٠٠ متحول [٢].

---

(١) أشار إلى ذلك المتحول من الإمامية الدكتور عبدالرحيم ملا زاده البلوشي مؤسس رابطة أهل السنة في إيران في مقابلة مع القناة التاسعة على هذا الرابط https://youtu.be/WCgEjFKBzQE وهو موجود حتى تاريخ ١٤٤٤/٦/٢٨هـ.

(٢) https: //www.fnoor.com/upload/userfiles/video/fnoorcom٠٦٤٢.mp٤ موجود حتى تاريخ ١٤٤٤/٣/٢٦هـ.مقالة:"من تأريخ التسنن في العراق" لعبدالعزيز المحمود ، في موقع الراصد على هذا العنوان من تاريخ التسنن في العراق(alrased.net) موجود حتى تأريخ ١٤٤٤/٣/٢٤هـ.

المراجع والمصادر:

١. الاتجاهات الحشوية في الفكر الإسلامي. للدكتور أحمد قوشتي دار الفضيلة ط الأولى ١٤٣٧ه.
٢. الإسلام والرجعة لأحمد جلال
٣. أصل الشيعة وأصولها لمحمد آل كاشف الغطاء ت علاء آل جعفر مؤسسة الإمام علي قم ط الأولى ١٤١٥ه.
٤. أصول مذهب الشيعة الإمامية للدكتور ناصر القفاري ط الثانية ١٤١٥ه
٥. أعلام التصحيح والاعتدال د. خالد البديوي مركز جسور للأبحاث والدراسات، مصر ط الثانية ١٤٣٢ه.
٦. الأعلام للزركلي دار العلم للملايين ط الخامسة عشرة ٢٠٠٢م.
٧. بحث عميق في مسألة الخمس لحيدر قلمداران. ترجمة سعد رستم . دار العبيكان ط الأولى ١٤٣٥ه
٨. البرقعي وجهوده في الرد على الرافضة. للدكتور خالد التويجري
٩. تاريخ القرآن عند الاثني عشرية د.عبدالعزيز الضامر دار تكوين للدراسات والأبحاث ط الأولى ١٤٣٧ه.
١٠. تاريخ تحول الشيعة إلى معتقد أهل السنة. الدكتور عبدالله الربيعي مقالة على الأنترنت.
١١. تجارب محمد جواد مغنية بقلمه. دار الجواد بيروت لبنان ط الأولى ١٤٠٠ه
١٢. التشيع نشأته ومراحل تكوينه للدكتور أحمد الغامدي دار الدراسات العلمية مكة ، ط الثالثة ١٤٣٣ه.
١٣. التشيع والشيعة لأحمد الكسروي. مطبعة بيمان طهران ١٣٦٤.
١٤. تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه لأحمد الكاتب. دار الشورى ط الأولى ١٩٩٧م
١٥. تعارض مفاتيح الجنان مع القرآن للبرقعي. دار العقيدة للنشر والتوزيع ترجمة سعد رستم، ط الأولى ١٤٣٥ه
١٦. توحيد العبادة. لشريعة سنكلجي عناية د. خالد البديوي، مكتبة العبيكان. دار العقيدة ط الثانية ١٤٣٦ه
١٧. جهود علماء العراق في الرد على الشيعة للكاتب عبدالعزيز بن صالح المحمود على شبكة الأنترنت

١٨. الحدائق الناضرة ليوسف لبحراني. نشره علي الآخوندي، مؤسسة النشر الإسلامي بقم.
١٩. الرسائل الأربع. تقريرات جعفر السبحاني. مؤسسة الإمام الصادق للتحقيق والتأليف. قم ١٤١٥ه.
٢٠. سوانح الأيام للبرقعي تحقيق د.البديوي دار العقيدة ، توزيع مكتبة العبيكان ط الثانية ١٤٣٥ه
٢١. سياحة في عالم التشيع لإمام محب الدين عباس الكاظمي . دار الأمل القاهرة.
٢٢. شرح أصول الكافي للمازندراني دار إحياء التراث العربي بيروت تعليق الشعراني، ط الأولى ١٤٢١ه.
٢٣. الشيعة في الميزان لمحمد جواد مغنية .دار الشروق بيروت.
٢٤. الشيعة والتصحيح للدكتور لموسى الموسوي .طبعة المجلس الإسلامي الأعلى.
٢٥. الصراع بين الأخباريين والأصوليين للدكتور أحمد قوشتي دار تكوين ط الثانية ١٤٣٦ه.
٢٦. الصرخة الكبرى للموسوي من مطبوعات المجلس الإسلامي الأعلى في أمريكا– لوس أنجلس ١٤١١ه.
٢٧. ظاهرة التصحيح في مذهب الإمامية الاثني عشرية د. خالد القرني. د. فكر ط الأولى ١٤٣٥ه.
٢٨. عقائد الإمامية لمحمد رضا لمظفر. تحقيق حامد حفني، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر . إيران. قم
٢٩. الغيبة للنعماني تحقيق علي أكبر الغفاري.
٣٠. الفرقان بين موقف أهل السنة والرافضة من القرآن" للواسطي
٣١. فقه الصادق للروحاني، مؤسسة دار الكتاب قم ط الثالثة ١٤١٣ه.
٣٢. الكافي للكليني (٢٩٥/٨) بحار الأنوار للمجلسي (١٤٣/٥٢) .
٣٣. كسر الصنم لأبي فضل البرقعي طبعة دار البيارق تحقيق عمر محمود أبو عمر ط الأولى ١٤١٩ه
٣٤. مجلة تراثنا. مؤسسة آل البيت. العدد ٤ السنة السابعة/ شوال –ذو القعدة –ذو الحجة ١٤١٢ هـ
٣٥. معجم المؤلفين لرضا كحالة مكتبة المثنى بيروت لبنان.
٣٦. مقالات الإسلاميين للأشعري ت د. السعيد بن صابر. دار الفضيلة ط الأولى ١٤٤٢ه
٣٧. المكاسب المحرمة للخميني. مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر قم ١٣٨١ه.

٣٨. من تأريخ التسنن في العراق ، مقالة لعبدالعزيز المحمود على الأنترنت.
٣٩. موجز دائرة المعارف الإسلامية ترجمه حسن حبشي ، منشورات مركز الشارقة ط الأولى ١٤١٨ه.
٤٠. ولاية الفقيه عند الشيعة عرض ونقد، د. ياسر الأحمدي، ضمن بحوث مجلة الجامعة الإسلامية.